القــافية

لغة: مأخوذة من قفا يقفو(تبع الأثر) إذا تبع لأنها تتبع ما بعدها من البيت و ينظم بها وقافية كل شئ آخره.(17)

و تطلق على القصيدة كما قال ابن جني: لا يمتنع عندي أن يقال في هذا إنه أراد القصائد(18) "كقول الخنساء:

وقافية مثل حد السنا ن تبقى و يذهب من قالها

وبناء عليه فهي تطلق على القصيدة كما تطلق على البيت الواحد من الشعر. والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزنه و قافية.(19) هذا على من رأى أن الشعر ما جاوز بيتا واتفقت أوزانه و قوافيه

اصطلاحا: اختلف العروضيون في شأن القافية.

قال الخليل: "هي من أخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن".(20)

و يراها الأخفش" آخر الكلمة في البيت أجمع".(21) وثعلب يجعل من حرف الروي أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة قافية. ـ هذا التعريف يناسب ظاهرة الشعر المعاصر ـ .

ومن المحدثين د. إبراهيم أنيس الذي يقول في القافية: ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزء هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها و يستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من المقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن".(22)

من خلال ما تقدم يتبين أنه لا خلاف بين العروضيين في أنها تقع في آخر البيت كما يلزم تكرارها في نهاية كل بيت.

والتعريف الجيد و الدقيق المعروف هو تعريف الخليل بن أحمد كما يرى صاحب العمدة "ورأي الخليل عندي أصوب"، والدكتور سيد البحراوي " هو

التعريف الدقيق بالفعل" (23) وعلى هذا فالقافية قد تكون بعض كلمة كقول امريء القيس:

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف" المثقل"

القافية في البيت السابق من الثاء إلى آخر البيت و هذا بعض كلمة، فالساكن الأخير هو السكون المتولد من حركة اللام و الساكن الذي يليه هو سكون الثاء وقبله حركة الميم. وتكون كلمة كقول المتنبي :

إذا أتتك مذمتي من الناقص فهي الشهادة لي بأني كامل .

فلفظه:"كامل" هي القافية. فالساكن الأخير هي الواو المولدة عن حركة اللام "الضمة" وأول ساكن يليه مع المتحرك هي الألف وقبلها الكاف.

وتكون كلمة وبعض أخرى كقول أبي العتاهية:

خذ من يقينك ما تجلو الظنون به و إن بدا لك أمر مشكـ (لٌ فدعِ ِ ِ ِ)

فالقافية من آخر ساكن مولد عن حركة العين"الكسرة" وهي الياء، و الساكن الذي يليه هو سكون التنوين و قبله حركة اللام "الضمة".

و تكون كلمتين كقول زين الدين بن الوردي 794هـ

لا تقل أصلي و فصلي أبدا إنما أصل الفتى ما " قد حصل"

فالقافية: " قد حصل".

وقد عالج بعض المحدثين النظم بغير قافية ـ أي عدم التقيد بها تمهيدا للشعر الحر ـ و من ذلك قول الشاعر رمضان حمود (1906-1929):

- إنما المجد قرين بالجهاد ووئام و ثبات في الظهور

- أي شعب ساد في هاتي الدنى بجمود و خمول و كسـل

فالقافية في البيت الأول: مترادفة و مردوفة، و في البيت الثاني متراكبة و الروي مختلف.

ألقـاب القوافي

1- المترادفة: و تتكون من (/00) مثل: " هواهْ" مردوفة

2- المتواترة: و تتكون من (/0/0) مثل: "حلْوى "متحرك واحد بين ساكنين"

3- المتداركة: و تتكون من (/0//0) متحركين بين ساكنين مثل:" مقْبلا، محْرِما"

4- المتراكبة: و تتكون من (/0///0) ثلاث متحركات بين ساكنين. مثل: قول ابن زيدون

بالله قل: لي. هل و في ؟ فقال: لا، بل غدرك

5- المتكاوسة: وتتكون من (/0////0) من أربع متحركات بين ساكنين.كقول الشاعر:

لما رأتني أُم عمْرو صَدَقَتْ و منعتني خيرها(ـا وشنِفت)

المصطلحات الخاصة بحروف القافية

للقافية حروف مخصوصة بها و الجميع يتفق على ضرورة تكرار عديد من الحروف والحركات في النهاية البيت.

1. الروي:

لغة: هو الجمع والاتصال والضم، ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذي يشد به المتاع والأحمال.

اصطلاحا: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال: قصيدة رائية أو دالية أو سينية و يلزم في آخر كل بيت منها، و لا بد لكل شعر قل أو أكثر من روي نحو قول عثمان الوصيف:

ثلجك نار في دمي تستعر من يوقف الثلج إذا ما انهمر ؟

أهذه أنت.. أم الأرض في يوم زفاف رصعت بالدرر ؟

فالراء في القصيدة هي الروي و القصيدة لذلك رائية، و تسمى رويا لأن حروف البيت تنظم وتجتمع إليه، وهو لا يقبل التغيير و لا بد أن يكون حرفا صحيحا غير معتل و أن يكون اصيلا في الكلمة حتى لا يحذف منها، و من هنا لم

يعتبر العروضيون حروف المد و الهاء حروف روي إلا في حالات محدودة باعتبار أن جميع حروف المعجم تكون رويا.

فما لا يكون رويا الألف في مثل:" قاما و قعدا "و ألف الإطلاق، و الألف التي تتبين بها الحركة نحو "أنا"، و "حيْهَلا" و الألف التي تكون بدلا من التنوين نحو" رأيت زيدا " و الألف التي تكون بدلا من النون الخفيفة نحو قوله" صبرت أم لم تصبرا".

وكل ألف سوى هذه تكون رويا. و الياء التي تكون للإطلاق لا تكون رويا، والياء في مثل قومي و اذهبي" لا تكون رويا، وكل ياء سواها تكون رويا، واو الإطلاق لا تكون رويا، وكذلك واو الجمع نحو " قوموا واذهبوا " والهاء التي تتبين بها الحركة نحو" اقضه" لا تكون رويا ولا الهاء التي للتأنيث نحو:" طلحة وحمزة " ولا هاء الإضمار نحو: ضربته وضربتها فإذا ما سكن قبل الهاء كان رويا نحو:

ليس خليلي بالخليل أنساه حتى أرى مصبحه وممساه

ويقول بهاء الدين زهير :

يامن توهم أني لست أذكره والله يعلم أني لست أنساه

فظن أني لا أرعى مودته حاشاي من ظنه هذا وحاشاه

ويقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ت 129هـ

فالزم الصمت إن في الصمت حُكما وإذا أنت قلت قولا فزنـ(ـه)

وقول أسامة بن منقذ:

أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعهُا مغالبا ثم بعد الجمع يرميـ(ـهـ)ـا

كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلاها وما فيـ(ـهـ)ـا

وقول محمد النحاس :

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذي في يديه(ي)

فمن باك له موجع وبين معز مغذ إليــه(ي)

ويكون الواو والياء رويا إذا سكن الحرف الذي قبلهما أو كان كل منهما ساكنا وما قبله متحركا كقول أبي العلاء المعري :

غدا فودي(*) كالفودين ثقلا وأضحى الشيب بينهما علا(وَ)ه

وقد أهوت إلى درعي لميس لتملأ من جوانبها الأدا (و)ه

وقول أبي العتاهية :

رأيت بني الدنيا إذا ما سموا بها هوت بهم الدنيا على قدر ما سمـ(ـو)ا

وكل بني الدنيا وإن تاه تائه قد اعتدلوا في النقص والضعف واستو(وْ)ا

وقول بهاء الدين زهير :

بعيد منك أن تفلـــــــح في شيء من الأ شـ (ـيـ)ـا

فلا أهلا ولا سهلا ولا سقيا ولا رعـ (ـيـ)ـا

وقول الصدر بن الآدمي:

يوم توديعي لأحبابي غدا ذكر ميّـّـّ شاغلي عن كل شـ(ـيْ)

فرنت نحوي وقالت يا ترى أنت حي في هوانا قلت: مـ(ـيْ)

2. الوصل:

هو الهاء مطلقا بعد الروي " سواء كانت الهاء هاء السكت أو المتقلبة عن التاء أو هاء الضمير"، وحرف المد أو اللين النا شيء عن إشباع حركة الروي . ينشأ الواو عن الضمة والألف عن الفتحة والياء عن الكسرة

مثل قول بهاء الدين زهير :

فإليك عني ياغرا م فقد عرفت مكانيَـ(ـه)

ـ فالهاء هاء السكت والياء روي.

الهاء المتقلبة عن التاء وهي وصل والراء روي من قول الأعشى :

إلا علالة أو بدا هةسابح نهد الجزار(ه) ⟵ ة (*)

ـ هاء الضمير من قول بن الرومي ت382هـ

ويل لمن نام عن مراشده سينقضي ليله وما رقد(ه)

ومن قول محمد بن زريق البغدادي :

وما مجاهدة الإنسان توصله رزقا ولا دعة الإنسان تقطعـ(ـه)

والله قسم بيت الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقا يضيعـ(ـه)

فالهاء ضمير وصل والواو خروج وما قبلهما روي.

ـ الواو الناشئة عن حركة الإشباع مثل قول عثمان لوصيف:

من قال : إن الشعر لا يعشق وإن نار الحب لا تحرق ؟

من قال: إن الجرح لا ينتشي وأن هذا الغصن لا يورق؟

والشاعر الفنان بين الورى قلب بألحان الهوى يخفِق

ـ الياء الناتجة عن حركة الإشباع من قول عثمان لوصيف:

هي الحياة لكم غنيت زهرتها رغم الفناء ورغم الموت والعفن

ـ الألف الناتجة عن حركة الإشباع من قول عويف القوافي ت 100:

سأُكذِب من كان يزعم أنني إذا قلت شعرًا لا أجيد القوافيا

3.الخروج

هو حرف متولد من إشباع حركة هاء الوصل المتحركة ويكون بثلاثة أحرف وهي: الألف والواو والياء.

ـ الألف نحو قول مفدي زكرياء

فلا تسألوا الأرض عن رجة تحاكي الجحيم وأهوالها

ـ والياء من قول المعري :

وإن يك وادينا من الشعر نبته فغير خفي أثله (*) من ثمامهِ

ـ والواو من قول محمد بن زريق:

وما مجاهدة الإنسان توصله ولا دعة الإنسان تقطعهُ

4. الردف

وهو حرف مد قبل الروي . فإذا كان ألفا التزم الألف كما في قصيدة " ذروا الأحلام واطرحوا الأماني" للشاعر مفدي زكرياء التي يقول فيها:

وفي أرض الجزائر معجزات غدت للمومنين بها منارا

وإن كان **واو** أو **ياء** جاز التبادل بينهما من غير قبح في القصيدة الواحدة كقول مفدي زكرياء:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملائك، أوكالطـــفل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه، جلالا وتيها رافعا رأسه، يناجي الخلودا

رافلا في خلاخل زغردت تمـــلأ من لحنها الفضاء البعيدا

حالما كالكليم، كلمه المجـــد فشد الحبال يبغي الصعودا

5. التأسيس

ألف لازمة." لايكون إلا ألفا " بينهما وبين الروي حرف واحد متحرك من كلمة الروي كقول صالح خرفي(1932-1998):

والضحايا تراقصت في بلادي فوق بحر مخضب الموج زاخر

وإذا كان التأسيس في كلمة والروي في أخرى يشترط في الروي أن يكون ضمير نحو قول صخر بن عمر بن الشريد:

وعاذلة هبّت بليل تلومنـي ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذا أهجوهم ثم ماليا

6. الدخيل

هو حرف واقع بين التأسيس وحرف الروي.